

## الملف

دنير مشنتاف  
denise.mechantaf@gmail.com

## نقبة المعالجين والمحللين النفسيين: اللبنانيون يخالفون القانون لإحساسهم بنقص وحرمان

معروف عن اللبناني رغبتة في مخالفة القانون والتحايل عليه، وفي المسألة تحدي المرجعية التي تمثل السلطة، الدولة، او الاب. ساهمت الحرب في ازدياد تحاييله على الواقع، فاكسبته براعة في ادارة ازمته بنفسه. الا انه فقد اخيرا هذه الطاقة التي تساعده على التفريغ، حيث لم يعد قادرا على ايجاد وسائل تخرجه من واقعه

لانه في بلد هو الاضعف بين جيرانه، اخترع اللبناني وسائل لتثبيت هويته كشاطر بمخالفته القانون والتحايل عليه، وهو كسلوك يعتبر نتيجة احساسه بنقص اجتماعي وذاتي بعيشه حرمانا اقتصاديا وسياسيا.

اللافت في الامر، تحوّل اللبناني خارج بلده الى شخص نظامي، ما السبب؟

في لقاء مع "الامن العام"، تطرح نقبية المعالجين والمحللين النفسيين في لبنان، استاذة علم النفس في الجامعة اللبنانية العضو في SPACE ANALYTIC في فرنسا، المحللة النفسية البروفسورة رجاء مكي اسباب هذه المشكلة المرتبطة بموقع لبنان الجغرافي.

■ تهوى شريحة كبيرة من اللبنانيين مخالفة القانون والتحايل عليه، الامر الذي تفاقم كسلوك اجتماعي ما بعد انتشار وباء كورونا ما ادى الى ارتفاع في عدد الاصابات والوفيات، ما تحليلك لهذه الظاهرة؟

□ اللبناني معروف منذ القدم بشطارته. هذه الشطارة مرتبطة بموقع لبنان الجغرافي كبلد خدمات، سابقا، منفتح على العالم كمرکز كان صلة وصل بين الشرق والغرب. لذا، اصبح هناك ما نسميه بالفطرة، وما يعتبره علم الاجتماع الشخصية القاعدية، فاكسبته هذه الشطارة مهارة في تجاوز المشكلات التي تواجهه. مع اندلاع الحرب عام 1975 تغيرت مقومات الحياة فتعايش اللبناني مع ظروفها القاسية، سقوط القذائف والقصف المدفعي وانقطاع الكهرباء، وكل ما تسببت به المعارك في خلال الحرب. الفارق بين الامس واليوم هو في تعقيدات الازمة التي طال امدها حتى في نظر غير اللبنانيين الذين يراقبون واقعنا منذ اندلاع الحرب حتى اليوم فيتعجبون من قدرة اللبناني

على تحويل الازمة الى طريقة عيش. هكذا، اعتادت عليه الشعوب الاخرى. في رأيي، غياب السلطة منذ مدة طويلة هو من اوصل اللبناني الى تجاوز القانون عبر ايجاد وسائل للتحايل عليه. محور هذه المسألة هو في القانون والسلطة في ذاتهما كقضية. هناك قانون مكتوب وآخر يمارس بالاعراف كما يحصل في لبنان. هذه الممارسة قائمة على عصبية الانتماء الى البيئة الصغيرة او الى الطائفة، الامر الذي ازدادت حدته مع اندلاع الحرب، ما فرض على اللبناني التأقلم مع الوقائع والاحداث الطارئة من اجل ان يعيش. لذا، اضطر الى تعلم مهارات اكتسبها اما بالفطرة او من خلال اهله الذين دفعوه الى اكتساب هذه الشطارة فتكونت شخصيته القاعدية. لكنه وصل اخيرا، تحديدا في الازمة التي نعيشها حاليا، الى مكان لم يعد قادرا معه على الاستمرار في هذه المهارة، بمعنى وصوله الى مأزق. ربما، شطارته في تجاوز القانون والتحايل على وضعيات مستجدة هي جزء من الفساد. لا اعني بالطبع ان كل اللبنانيين فاسدون. لكن هذا التحايل المحب لدى البعض، الشبيه بنكتة المصري الذي اصبح معروفا عنه كشعب يتأقلم بسرعة مع الوقائع المستجدة، لم يسمح ببناء الدولة بشكل صحيح. وقد اوصله ذلك الى مرحلة لم يعد يملك فيها طاقة احتيالية للتفريغ، علما ان هذه الطاقة تبذل عادة نتيجة وجود نقص ما.

■ ماذا يقول علم النفس عن الترابط بين هذا التحايل وشعور اللبناني بالنقص، ومن اي نقص تحديدا يعاني؟

□ تجاوز القانون والتحايل عليه وسائل اخترعها اللبناني نتيجة احساسه بنقص اجتماعي وذاتي الذي اصبح الان معمما على كل افراد المجتمع

اللبناني. فما بعد انتشار وباء كورونا والعزلة التي فرضها على كل الناس اصبح اللبناني منغلقا على نفسه، وبالتالي لم يعد قادرا على تأمين التوازن بين الطاقة التي كان يملكها وبين التأقلم مع الحجر المنزلي، فتراجعت طاقته هذه. لهذا السبب تفاقم وضعه ما بعد ثورة 17 تشرين الاول 2019 والازمة الاقتصادية التي لحقت بها، كونه اصبح عاجزا عن ايجاد وسيلة تجعله متحايلا على هذا الواقع. عندما تكون دولة القانون سائدة تكون المقومات الاساسية للحياة مؤمنة، علما اننا كشعب نسعى دائما الى تأمين الكماليات اولاً.

■ في هذا السلوك المتماذي هناك تحد مرجعية اساسية، اما الدولة التي تملك سلطة تنفيذ القوانين والمحاسبة على تجاوزها او الاهل الذين يعاقبون اولادهم على ارتكاب اخطاء كهذه او بتشجيع البعض منهم على اعتماد هذه الشطارة لاكتساب القوة اجتماعيا، كيف نشرح هذه المسألة؟

□ في هذه المسألة هناك تدرج، فلننظر اليها من زاوية علم النفس. الدولة هي الحامية، لكنها تحتاج الى مؤسسات كي تطبق قوانينها. المؤسسة الاولى التي تركز اليها الدولة هي الاسرة، بمعنى تعيد التركيبة ذاتها من خلال سلطة الاب كي يكون هو رأس العائلة. المؤسسة الثانية لمقومات الدولة هي المؤسسة العسكرية التي تؤمن لها تطبيق القوانين، اما الثالثة فهي المؤسسة الدينية. علم النفس تحدث عن الكنيسة فقط كمؤسسة دينية، وهي كرمز في المطلق تضبط الانسان بالاعراف والتقاليد واتباع القوانين. المؤسسات الثلاث هذه تختصر علاقة الولد بالاب، ففي عمر الطفولة يريد ان يكون الى جانبه والده



نقبة المعالجين والمحللين النفسيين في لبنان المحللة النفسية البروفسورة رجاء مكي.

بيت لبناني هناك مهاجر ونحن كشعب تقبلنا الزواج ايضا. هذه المسألة تدفعنا الى الاضاعة على جانب آخر ساتناوله من زاوية علم النفس الثقافي وعلم الاجتماع. العولمة انشأت بنية ثقافية لم يعد الانسان معها الا ان يكون متقبلا للاخر، حتى لو كان في الامر فوقية ودونية. اذا عدنا الى التاريخ نجد تقبلا للاخر، لكن الفوقيات لم تختف. لماذا اقول هذا الكلام؟ لكي اركز على مفهوم الهوية. هويتنا غير ثابتة واللبناني كان يسعى دائما، كأقليات، الى التوضع كي يثبت هويته، الامر الذي انعكس عليه جندريا وسياسيا وعلى كل المستويات ايضا.

■ اللافت في الامر تحوّل اللبناني خارج بلده الى شخص نظامي يتقيد بالقوانين كأنجاز يعتز به، ما تفسيرك لهذا التناقض؟

□ عندما يتباهى اللبناني بتجاوزه القانون في بلده يكون الامر مرتبطا بالقوة والذكورية تحديدا. حين يسافر هذا الشخص الى بلد آخر ستختلف اوضاعه كونه يعيش تحت قبة الدولة التي تحمي القانون. في لبنان هناك تساهل في التطبيق، مرد ذلك الى المصلحة الشخصية و"الواسطة" التي تكسر القوانين من داخل المؤسسة المولجة تنفيذها. حين يعيش اللبناني في بلد آخر سيجد الخدمات الاولى والمشاركة مؤمنة اسوة بغيره، فاذا حاول مخالفة النظام السائد سيكون غريبا عن المجتمع الذي اختار العيش فيه. كل هذه المسألة مرتبطة بهيئة القانون الموجودة خارج بلده، هي التي تحكمه وتتحكم فيه فتجعل منه شخصا نظاميا.

■ كيف تستعاد هيبة القانون في لبنان حتى في ظروفنا الحالية؟

□ المؤسسة العسكرية بكامل اجهزتها قادرة على استعادة هذه الهيبة. فمن خلال التجارب السياسية والحروب التي مررنا فيها، اثبتت هذه المؤسسة قدرتها على البقاء. نحن في حاجة اليها لاعادة انتاجها كأب راع يحمي الوطن والاسرة والانتماء، وبالتالي سيكون الانسان في بلده محميا باسترجاع هيبة القانون عبر تطبيق الثواب والعقاب.

”

اكتسب اللبناني براعة في ايجاد الحلول لانه الاضعف بين جيرانه

“

ومرتبطة بالنظرة اليه كإنسان "شاطر" في بلد هو الاضعف بين جيرانه، من هذه النظرة اراد ان يجد هوية لنفسه فاجدها بالشطارة نتيجة الحرمان الاقتصادي والسياسي. هذا الحرمان خلق في ذاته طاقة، ربما من موقعه كبلد بين دول البحر المتوسط ميزته جمعه بين التناقضات الطائفية والسياسية، ما خلق فيه براعة في ايجاد الحلول كي يدير ازمته فكانت شطارته في ادارة ازماته.

■ هل كل الشعوب التي عانت في تاريخها من حروب واطلاق امنية غير مستقرة تلجأ الى هذه السلوكيات وبعدهم اكترت الى الكوارث المحيطة بها؟

□ بشكل عام، الدول التي يعتمد ابناءؤها على الهجرة تعاني من ازمة هوية، ففي كل